

المؤرخ بشير قاسم يوشع ميلاده ونشأته وجهوده العلمية

كلية التربية درج - جامعة الزنتان - ليبيا

د. الحبيب محمد عبد الله الموفق

المستخلص:

تركز هذه الورقة علي شخصية المؤرخ والكاتب بشير قاسم يوشع وبشكل خاص علي مسيرة حياته وسيرته الذاتية من حيث المولد والنشأة علاوة علي جهوده العلمية المتنوعة مابين التاريخ والحضارة والتراث، في إطار إلقاء أضواء على نموذج من الشخصيات الثقافية الليبية التي قدمت الكثير لتاريخ وحضارة بلادها، من تبدأ الورقة بالإشارة إلي أهم ماورد عن أهم المؤرخين الليبيين وآرائهم حول مسألة الظلم التاريخي الذي تعرض له بلدهم ليبيا وهو نفس السياق الذي ركز عليه بشير يوشع في إنتاجه الكتابي التاريخي. تتناول هذه الدراسة البيئة التي نشأ فيها يوشع ومحيطه الاجتماعي الذي ترعرع فيه والتي توضحها هذه الورقة من خلال الشخصيات العلمية والمكثبات والزوايا وغيرها من المنارات العلمية التي أثرت بشكل واضح وكبير في شخصية يوشع، كما تتناول هذه الدراسة مؤلفاته وكتبه والحوث والمقالات التي فام بنشرها أو تلك التي مازالت تنتظر، وتختتم بإلقاء الضوء علي جوانب من شخصيته.

Historian Bashir Qassem Yousha

His birth, upbringing and scientific efforts

Dr.. Beloved Muhammad Abdullah Al-Muwaffaq

Abstract:

This paper focuses on the personality of the historian and the writer Bashir Qasim Yousha specifically on his lifetime and his curriculum vitae: such as his place of birth, and the act of bringing up and his various scientific efforts in the fields of history, civilization, and heritage to shed the lights on an example of the Libyan cultural characters who greatly contributed to the history and civilization of their country. The paper begins with references to what the most prominent Libyan historians mentioned about the question of the historical unjustness for which their country was exposed. In fact, this was the same context that the author Bashir Qasim Yousha considered in his intellectual works. This paper displays the environment and the social surroundings in which Bashir Qasim Yousha was brought up. This paper displays the environment and the social surroundings in which Bashir Qasim Yousha was brought up. It achieves this aim through a presentation about the libraries, centers and the people who apparently had an impact on the vision and character of Yousha. This paper also considers the books, the articles, and the other works of the author which were published or not published yet. The paper is finished with shedding light on some sides of the author's life.

المقدمة:

التاريخ الثقافي لليبييا وجه مشرق من وجوه هذا البلد الطيب، وهو تاريخ عامر بالعباء زاهر بالبطولات في شتى الميادين ولقد قدم هذا البلد على مر العصور أسماء كثيرة بعضها بارز وجلها مغمور، شاركت في إعمار الأرض ونشر الخير. ومن دوافع إعداد هذا المقال المتواضع الرغبة في إلقاء أضواء ولو خاطفة على نموذج من الشخصيات الثقافية الليبية التي أفنت أعمارها وقدمت ما بوسعها خدمة للعلم والفكر. ومن ضمن هذه الأسماء الأستاذ الكاتب المؤرخ بشير قاسم يوشع -رحمه الله- وهو يمثل إسهام الأطراف النائية في ليبيا في إثراء الحركة العلمية. وقبل الحديث عن

بشير يوشع يجدر التطرق إلى موضوع مهم، بل في غاية الأهمية، ألا وهو الظلم التاريخي الذي تعرض له هذا الوطن، عن قصد أو دون قصد، وقد شغل بال الكثير من المعنيين بتاريخ هذا البلد وأخبار رجاله. وقد رأيت الإشارة إليه في مستهل هذا المقال تماشياً مع منطلقات هذه المجلة الرائدة وهو الكشف عن الأعلام المجهولة والتعريف بنشاطاتها وجهودها العلمية.

اليبيون والتدوين التاريخي:

يقول الأستاذ علي مصطفى المصري: «لقد ظلم التاريخ ومسار الإبداع في ليبيا من بعض المؤرخين العرب المعاصرين الذين يقفزون قفزاً متعدين هذا البلد الرائع والوطن العربي المسلم، يكتبون عن كل الأقطار والعصور إلا ليبيا، إما جهلاً وعدم اطلاع ومعرفة، وإما إهمالاً وعدم مبالاة. فترة كانت ليبيا تعرف عندهم مجرد (صندوق من الرمال) هكذا في أوصافهم. بعضهم يراها بعد تفجر الثورة النفطية، وتدفق البترول مجرد آبار بترول وبراميل للغاز. إلا ما ندر وقل من أهل الإنصاف والاعتراف»⁽¹⁾. ويضيف المصري متحسراً: «ذات مرة أكاد أقول المرائر أحدهم من أدعياء المعرفة من المهرجين باعة الكلام قال في أحد المجامع: هيا ليبيا فيها تاريخ وأدب... هل فيها كتاب؟! لا بصفة النفي فقط بل بصفة الإنكار المطلق»⁽²⁾. وينوه كذلك الدكتور الطيب الشريف في دراسته عن الأسس الثقافية في ليبيا عن هذا الموضوع قائلاً: «يجد المتتبع لتاريخ ليبيا الثقافي بعض التلميحات إلى خلو هذا البلد من العلماء والأدباء، وأنه لا تاريخ ثقافي له يذكر مثلما نجده عند العبدري في رحلته إلى المشرق، حيث مر بطرابلس، فذمها ذم المتحامل عليها... لأنه لم يكلف نفسه عناء البحث والسؤال، ولو فعل لوجد الكثير من العلماء في زمنه وقبله»⁽³⁾. ويضيف: «وليس العبدري وحده من ذم طرابلس فإن بعض الأتراك صورها بصورة منفردة، وعلى هذه الصورة المنفرة تبدو ليبيا في خيال البعض، ممن لم يعرفونها جفافاً في كل ميادين الحياة لاسيما ميدان العلم والمعرفة»⁽⁴⁾.

أما المؤرخ بشير يوشع فيشخص هذه الظاهرة ويحلل أسبابها ويعلل لها بقوله: «إن أصابع الاتهام بالسلبية الثقافية كثيراً ما وجهت نحو ليبيا، وبأنها لم يكن لها نشاطاً في البحث العلمي كجارتها شرقاً وغرباً رغم أنها جسر العبور الإسلامي إلي بقية أقطار مغربنا الكبير والأندلس ومن البديهي أن نقول: إن هذا الاتهام غير صحيح، إذ أن لهمزة الوصل مكانتها الثابتة دائماً غير أنيلا أستغرب هذا الاتهام المبني علي الجهل، طالما أن أبنائها غزاهم التواضع الزائد عن الحاجة علي مر السنين، متناسين قوله تعالي علي لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين»⁽⁵⁾. ومن المؤسف أن أوائلنا يفتقرون إلى الداعية وتنقصهم الحاسة التاريخية التي بدأت تستيقظ مؤخراً....

أننا بهذا الإنكار للذات أعطينا لغيرنا رخصة اتهامنا بالتقصير»⁽⁶⁾. ولعل من مظاهر الحاسة التاريخية التي استيقظت مؤخراً - على حد تعبير بشير يوشع - تلك المؤامرات الكبيرة والندوات

والدراسات الأكاديمية والمجلات المتخصصة في تناول الشخصيات العلمية الليبية تقديراً لأدوارها وإنصافاً لمجهوداتها. ونعود إلى الحديث عن محور هذا المقال ألا وهو سيرة المؤرخ يوشع وقبل الخوض في ترجمة الذاتية، من الأهمية بمكان التعريف بيئته ومحيطه الاجتماعي الذي ولد ونشأ فيه، إذ «الإنسان ابن بيئته» كما يقول الفيلسوف تين، يتأثر بها ويؤثر فيها، وهذا ما بدا واضحاً لمناطق على حياة المؤرخ يوشع.

بيئته ومحيطه الاجتماعي:

بمدينة غدامس أو واحة غدامس - كما يصفها بعض الجغرافيين - ولد يوم 24/8/1930م. وغدامس من المدن العتيقة وتمثل عمقاً تاريخياً سحيقاً، وتتربع على موقع جغرافي مهم، جعل منها إحدى محطات القوافل التجارية التي تجوب القارة الأفريقية، لذلك كانت على مر العصور هدفاً للغزاة.

يذكر الطاهر الزاوي أنه «في الفتح الإسلامي نجد سريّة لعقبة تصل إلي غدامس سنة 34هـ فتفتحها»⁽⁷⁾. ومن ذلك الوقت ازدهرت المدينة ثقافياً وصارت حاضنة من حواضن الثقافة العربية الإسلامية في ليبيا وشمال أفريقيا. وفي صدد الحديث عن النشاط الثقافي في غدامس عبر القرون يحسن ان نحدد بعضاً من مظاهر هذا النشاط وذلك التفاعل الفكري الذي جعل غدامس بيئة ثقافية صالحة أفرزت الكثير من الأسماء العلمية منهم المؤرخ بشير يوشع:

1- الشخصيات العلمية:

تفيد المصادر التاريخية المتواترة وجود قبر للصحابي الجليل عقبة بن عمرو البديري -رضي الله عنه- وقبر للتابعي أبي الشعثاء، وقبور لثلاثة عشر صحابياً أسماؤهم مجهولة. فوجود صحابة وتابعين في بلد ما يمثل انطلاقة نحو الثقافة في الدين، وبداية لرواية الحديث الشريف ودراسة علوم القرآن الكريم. ولعل أقدم شخصية علمية بعد أولئك ((إسماعيل الدراري حيث توجه من غدامس إلى البصرة للدراسة في أوائل القرن الثاني للهجرة))⁽⁸⁾. ولم ينقطع السند العلمي وتلقي العلم بين الأجيال وإن ندرت الأخبار المتصلة بذلك ولكن توجد إشارات تدل على ذلك كما ورد في كتاب انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى إذ أنه «بمجرد أن تأسست مدينة تنبكتو في أواخر القرن الخامس الهجري شرع العلماء يفدون إليها من مصر وغدامس وفاس»⁽⁹⁾. أما «في القرن العاشر للهجرة فقد عثر على بقية من مخطوط مؤلف غدامسي اسمه عبدالسلام بن عبدالرحمن وعنوانه: فتق الأزهار»⁽¹⁰⁾ ولم تتوقف المدينة عن العطاء فوجد الشيخ محمد بن عمر الغدامسي «عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر... له مؤلفات كثيرة»⁽¹¹⁾. ويلمخ اسم العلامة عبد بن أبي بكر الغدامسي بعد ذلك وقد أشار إلي سيرته المؤرخ المغربي (الافرنى) في كتاب (المناقب). وتتوالى الأسماء حتى القرن التاسع عشر يبرز اسم الشيخ عبد الرحمن البوصيري فقيهاً وقاضياً وشقيقه محمد صحفياً «فأسس أوائل الصحف الليبية وهي الترقى»⁽¹²⁾.

2- المؤسسات العلمية:

وتتمثل في المساجد الزوايا القرآنية ، فجانبا أداء الشعائر الدينية كانت تعقد فيها حلقات الوعظ والدروس إضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم، حيث « بلغ عدد المساجد سبعة وثلاثين وعدد الزوايا القرآنية إحدى عشرة»⁽¹³⁾. وأقدمها الجامع العتيق الذي بني عام 44هـجري.

3- المكتبات المنزلية:

أغلب منازل غدامس تحتوي مكتبات زاخرة بالمخطوطات والوثائق ، وتعد الأسر أملاكها من ذلك ثروة مقدسة تتوارثها الأجيال وتحرص علي الحفاظ عليها ،وقد قدرت بثلاثة آلاف مخطوط. ولعل ما أسهم في ثراء المدينة بتلك الثروة، ذلك التواصل مع شعوب كثيرة لغرض التجارة.

4- الرحلات العلمية:

لم يكتف طلبة العلم بغامس بما هو متاح في المدينة ودفعهم الشوق إلى الاستزادة، فشدو الرحال إلى مراكز العلم الشهيرة لإكمال التحصيل العلمي، فقد كانت اول رحلة علمية- كما سبق- في القرن الثاني للهجرة إلى البصرة ، وتوالى الرحلات إلي الأزهر الشريف وجامع الزيتونة، والمنستير بتونس، وكذلك إلى توات بالجزائر وإلي أقدر وزكرك بالنيجر وتبكتو وكذلك إلي البقاع المقدسة. إضافة إلى الرحلات الداخلية إلى طرابلس وأوجلة والجغبوب وغير ذلك.

5- المراسلات والإجازات العلمية:

فمن مظاهر النشاط الفكري بغامس الذي أثرى المناخ الثقافي ذلك التواصل بين غدامس وعدد من البلدان وربما ساعد ذلك وجود خطوط القوافل التجارية التي تمر عبر غدامس. وحفظت لنا المصادر الكثير من المراسلات بين علماء غدامس وغيرهم إضافة إلى الإجازات العلمية التي نالها طلاب العلم بها وكذلك منحوها لغيرهم داخل المدينة وخارجها.

6- النتاج العلمي:

وهونتيجة طبيعية لما سبق ذكره فتمخض عن تلك المسيرة إنتاجلا يستهان به متمثلاً في التأليف والتفسير والشرح والاختصار والنظم وكذلك النسخ والوراقة ، إضافة إلى العطاء الشفهي المتمثل في تحفيظ القرآن الكريم والخطابة والوعظ والإرشاد والإفتاء والقضاء. وقد لاحظ الرحالة الإنجليزي رتشاردسن أثناء زيارته إلي غدامس عام 1845م ما عبر عنه بقوله: « اقتلع المسلمون جذور المسيحية من أرض شمال أفريقيا وعرسوا بدل شجرتها ذات التمر النقي نباتا أكثر لمعانا ممثلا في الإسلام...أدخلوا ونشروا الإمام بالكتابة والقراءة بواحتي غدامس و غات اللتين توفران مثلاً نسبة أكبر من الأطفال الذين يقرآن ويكتبون عما توفره أيا من مدننا الإنجليزية»⁽¹⁴⁾. تلك هي البيئة التي نشأ وترعرع بها المؤرخ بشير يوشع فلا غرابة أن نجد في سيرته العطاء ونلمس في مؤلفاته الإفادة.

دراسته وثقافته:

يوشع كاتب وباحث ومؤرخ من الطراز التقليدي، حيث أنه لم يتلق العلم في أي معهد أو جامعة، ولم يدرس التاريخ دراسة أكاديمية منهجية، ومع ذلك استطاع أن يكون لنفسه رصيماً غزيراً من المعرفة، ويبني قدرات عالية في البحث المنهجي، فامتلك أدوات البحث العلمي وقدم للمكتبة التراثية أعمالاً رائدة. ويمكننا تقسيم دراسته وثقافته إلى قسمين: الأول، دراسة نظامية، والثاني، ثقافة شخصية واجتهاد ذاتي.

فالدراسة الرسمية النظامية تتمثل في تحاقه بكتاتيب المدينة القديمة غدامس كعادة جل أهل البلدة، وأتم حفظ القرآن الكريم برواية ورش وهي الرواية الشائعة المألوفة عند أهل غدامس. والتعليم في كتاتيب المدينة بجانب تحفيظ القرآن الكريم يقدم للتلاميذ قدراً من المعارف الدينية وحفظ بعض المنظومات مثل: متن ابن عاشر في العبادات وغيرها. ومنمناخه الفقيه محمد بلقاسم رشيد-رحم الله-.

كما التحق بالمدرسة الإيطالية التي أنشأها الإيطاليون بخدامس ودرس بها الصفوف الابتدائية الأولى، كطبيعة هذه المدارس، وتلقى مبادئ اللغة العربية (النحو والإملاء والنصوص) وكان مدرسه في ذلك أحمد بن مالك - رحمه الله - وهو من أعلام غدامس.

أما ثقافته الذاتية فتتمثل في تلقيه العلم من خلال الحلقات العلمية التي تتيحها مساجد المدينة كتفسير القرآن الكريم وعلم القراءات والسيرة النبوية والفقه وغيرها. وبسبب تردي الأوضاع المعيشية في البلاد بصفة عامة عقب الحرب العالمية الثانية، اتجهت أعداد كبيرة من المواطنين إلى الهجرة إلى تونس طلباً للرزق والحياة الكريمة، وكان ضمنهم بشير يوشع، ومكث في تونس سنوات عدة، ولتعطشه للعلم وإقباله على المعرفة ظل يتردد على الحلقات العلمية المجانية التي زخر بها جامع الزيتونة المعمور، ونال قسطاً وافراً من المعارف.

أما الرافد العلمي الأكبر الذي تزود منه فيتمثل في حبه الدائم للقراءة، وساعده على ذلك توليه وظائف رسمية وفرت له مناخاً طيباً للاطلاع والتزود، فقد تولى إدارة المركز الثقافي بخدامس الذي يضم آلاف الكتب وترد إليه الصحف والمجلات المحلية والعربية بانتظام، ومكث عدة سنوات مديراً له. وبعد ذلك كلف بإدارة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية فرع غدامس، وتفرغ للبحث في المخطوطات والوثائق القديمة التي تزخر بها المدينة، وأتاح له ذلك المشاركة في المحافل العلمية كالمؤتمرات والندوات، وقام في تلك الفترة بإنجاز معظم مؤلفاته.

عطاؤه العلمي:

قبل التطرق إلى مؤلفاته ومنشوراته ينبغي التنويه والإشارة بالدور الذي تبوأه في مدينته كونه أحد أعلامها المعاصرين ويشكل امتداداً لتلك الشخصيات العلمية المعروفة بها منذ قرون.

وبشير يوشع -رحمه الله-غزير العطاء فهو أحد المراجع الشفهية الموثوقة، له حضور بارز في المحافل العلمية التي تنتظم من حين لآخر. وهو اسم لامعفي المناسبات الوطنية ومشارك فاعل في الندوات والمحاضرات العامة، يشرف على معارض المخطوطات ويتولى استقبال الوفود العلمية القاصدة غدامس.

بجانب ذلك له عدة مشاركات استشارية في الإنتاج السينمائي والمربي الخاص بالموروث. وترأس الرحلات العلمية والمشاركات الثقافية خارج غدامس كالمعارض الوطنية و الندوات العلمية الكبيرة.

أما مؤلفاته: فقد نشرت بعض منها، والبعض الآخر لايزال قيد الطباعة، وسأحاول التعريف بها -ولو بإيجاز-.

مؤلفاته:

في سياق الكلام عن مؤلفات يوشع وأبحاثه ومقالاته تجدر الإشارة إلى ملاحظة أوسمة اتصفت بها هذه الأعمال ألا وهي تصدر اسم بلدته غدامس أغلب العناوين ، وتبدو للوهلة الأولى أنها خاصة بتلك البلدة، وفي الواقع فإنها وإن تناولت جوانب من تاريخ غدامس العريق إلا أنها للقارئ نافذة واسعة يطل من خلالها على بقاع متعددة.

إن تاريخ غدامس يرتبط ارتباطا وثيقا بكثير من البقاع في ليبيا وتونس والجزائر والصحراء الكبرى ودواخل أفريقيا ومجاهلها. ولغدامس علاقات تجارية وروابط اجتماعية وصلات ثقافية مع كثير من المناطق. لذلك مؤلفات يوشع حول غدامس هي معبر وممر آمن إلى تلك البقاع يستشف الباحثون من جرائها الكثير من الإفادات والإشارات. ومما يميز هذه المؤلفات أيضا احتواؤها على مادة تاريخية تنشر لأول مرة، إضافة إلى معلومات غزيرة من مصادر شفوية لرواة ينتمون إلى أجيال سابقة أدركهم المؤلف ونقل عنهم الكثير، بجانب المعلومات المقتبسة من مخطوطات نادرة. وسأحاول التعريف-بإيجاز- ببعض هذه الأعمال المنشورة، أما التي لم تنشر فسأكتفي بسرد عناوينها.

(غدامس ملامح وصور) (15):

صدرت الطبعة الأولى منه في بيروت عام 1973 ويقع في أكثر من ثلاثمئة صفحة تناول فيه وصفا شاملا للمدينة وعرضا للمراحل المتعاقبة عليها منذ العهد الروماني حتى العهد الحديث، وأشار إلى أصل سكانها وآثارها وأسوارها، وتفاصيل العادات والتقاليد، والمساجد والزوايا والشوارع وغير ذلك.

(غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية) (16):

كتاب جمع فيه عدد مائة وخمسين وثيقة تاريخية قدمها للباحثين في صورة حديثة وبخط حديث مزودة بإيضاحات كثيرة في الهوامش ويرجع عمر هذه الوثائق الى الفترة من 1228 الى 1310 هـ.

(وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية) (17):

وهو امتداد للكتاب السابق والجزء الثاني له إلا أن الفترة التي تعود إليها الوثائق اوسع بكثير وتمتد من 949-1343هـ (1542-1924) وتضم مائة وخمسين وثيقة ورتبها ترتيباً حسناً .
(فهرس مخطوطات غدامس) (18) وكما سبقت الإشارة فإن بلدة غدامس تعد واحدة من البيئات الزاخرة بالمخطوطات في ليبيا ، وهي انعكاس طبيعي للحركة الفكرية التي شهدتها عبر القرون ، وظلت هذه المخطوطات حبيسة الخزائن وعرضة لعوامل التلف ، وقد تسرب الكثير منها خارج الوطن خصوصا فترات الاستعمار ، وبين الحين والآخر تظهر نسخا منها في مكتبات ومتاحف باريس وإسطنبول وتونس وغيرها. وفي مبادرة طيبة من مركز جهاد اللبين أن قام بنسخ ماتيسر منها وحفظه على (المكروفلم) وإيداعه بمكتبة المركز بطرابلس .

كتاب (فهرس مخطوطات غدامس) فهرسة وترتيب وتعريف لأكثر من أربعمئة مخطوطة .
يقول يوشع في مقدمة الكتاب :« هذه الحصيعة جمعت من 28 مكتبة خاصة يحتوي الكتاب في آخره على قائمة مفصلة عنها وعن أصحابها ، وعدد ماملكه كل منهم ونوعه ، وأخرى بأسماء مؤلفي هذه المخطوطات وثالثة بنساخها، ورابعة بالمؤلفات المذكورة في الملاحظات..»
(فهرس مخطوطات غدامس مخطوطات جامع تندرین) (19):

هذا الكتاب امتداد للكتاب السابق والجزء الثاني له إلا أنه خاص بمخطوطات أحد المساجد العتيقة بالمدينة القديمة وهو جامع تندرین صدر عن المركز الوطني للمحفوظات والدراسة التاريخية بطرابلس عام 2011 ويقع في أكثر من ثلاثمئة وستين صفحة وهو فهرسة وترتيب وتصنيف لقرابة الألفوثلاثمئة مخطوط في (التوحيد، الحديث ، الفقه ، النحو ، التفسير ، التصوف ، التاريخ ، الطب ،)

6- (مدينة غدامس عبر العصور) (20):

هذا الكتاب - كما يظهر- امتداد للكتاب الأول غدامس ملامح وصور، وتوسعة وإضافات جديدة لبعض الموضوعات، وقد تناول بتفاصيل أكثر تاريخ غدامس في العهد القرطاجي وفي العهد الروماني والبيزنطي وكذلك في العهد العثماني، وقدم عرضاً لأهم المعالم الأثرية الموجودة بها وغير ذلك من موضوعات مثل: (نظام الحكم- نظام القضاء- نظام الري- التجارة- الصناعة والطبخ- الألعاب الشعبية- الإعلام الداخلي ...) وللمؤرخ كتب أخرى هي في طور النشر مثل: كتاب (سكان مدينة غدامس) وهو دراسة مفصلة للمكونات الاجتماعية الأثرية بالمدينة، والقبايل وغيرها. وكتاب (اللغة الغدامسية) دراسة لغوية لخصوصيات لغة أهل غدامس وهي إحدى اللغات الليبية القديمة (البربرية). وله كتاب آخر في الأدب الشعبي الامادي بعنوان (قصص وأساطير من غدامس) جمع فيه ما تناثر من حكايات وأقايص شعبية تتناقلها الأجيال مشافهة.

وله كتاب آخر بعنوان (من أعلام غدامس) وهو قريب في منهجيته من كتاب أعلام ليبيا لطاهر الزاوي، وقد تناول فيه تراجم لأكثر من مائة وأربعين علماً من الشخصيات العلمية والسياسية والتجارية بغماس منذ أقدم العصور.

7- كتاب (غات ملامح وصور):

وهو دراسة وصفية تاريخية لمدينة غات بالجنوب الغربي الليبي، ومعلوم أن غات يصفها الدارسون بأنها التوأم لغماس؛ لوجود قواسم مشتركة متعددة ولوجود روابط بين المدينتين عبر القرون تجارية واجتماعية. وله أيضاً مؤلفات أخرى لاتزال لدى عائلته ومُتلق طريقها للنشر، ككتاب (الأمثال الشعبية) وهو جمع للمأثور الشعبي بالمدينة المتمثل في الأمثال. وكتاب آخر بعنوان (كأنك معي في مدينة غدامس القديمة) وهو عبارة عن دليل سياحي يمكن المطلع عليه من التجوال في معالم المدينة ودروبها وتأمل جمالياتها من خلال الصور والوصف. وكتاب آخر بعنوان (إلى الحياة) وهو ديوان شعري جمع فيه محاولاته الشعرية في أغراض شتى، كالشعر الوطني والمدائح النبوية، ووصف الطبيعة، والغزل وغيرها. وكتاب آخر خصصه لأبرز معالم المدينة علي الإطلاق وهو عين الفرس، أصل المدينة وسر حياتها عبر العصور. وكتاب آخر علي هيئة معجم لغوي يضم مفردات اللهجة الغدامسية المحلية.

أما بحثه ومقالاته فهي كثيرهوسيرد ذكر بعض نماذج منها علي سبيل المثال لا الحصر وهي كالتالي:

(أضواء علي حملة يوسف باشا القرماني علي غدامس) ونشرت بمجلة الثقافة العربية سنة 1984.

(والعلم والعلماء في عصر ابن غلبون) ونشر بمجلة البحوث التاريخية العدد الثاني 1984م.
(والصحابي أبو مسعود الأنصاري وحقيقة صلته بغماس) ونشر بمجلة تراث الشعب، العدد الأول. و(عين الفرس التي اختفت من غدامس) ونشر بمجلة تراث الشعب العدد الأول 1991م. وكذلك بحثه (غدامس ويوسف باشا القرماني) ونشر بمجلة الشهيد العدد 11، 1990 وغير ذلك من الدراسات والمحاضرات التي شكلت مرجعا مهما للدراسات الجامعية الخاصة بتلك البلدة وما ارتبط بها.

جوانب من شخصيته:

الإنتاج الفكري كما هو معلوم انعكاس طبيعي لشخصية صاحبه، ومرآة صادقة تتجسد من خلالها خصائصه الأخلاقية وقدراته الفكرية، وهذا ما يمكن أن نستشفه من مؤلفات وأبحاث بشير يوشع.

فالمتأمل المدقق في جهوده وآرائه ونظراته الذاتية يلحظ النقاء العلمي الذي يتسم به، ويلمس الحماس والرغبة العارمة الصادقة في خدمة التاريخ وتوثيق الموروث الذي يراه يتضال عبر الأجيال.

نلمس دقة العلماء ورقة الأدباء في أسلوبه وتعابيريه، كما نلمس خلق الباحثين في دراسته. ويمكننا أن نذكر بعض الصفات التي اتصف بها، وأظهرتها سطور كلامه وما خلف السطور، كالصدق والأمانة العلمية والتواضع وتقدير مشايخه ومعلميه، وإسناد المعروف إلأهله وإنصاف جهود سابقه، كما نلمس السماحة والهدوء والبعد عن التعصب المقيت، ونجد الاعتراف بالخطأ والسعي إلى تصويب ما يراه قد أخطأ فيه. وسأورد مقتطفات من أقواله بين ثانيا مؤلفاته شواهدا على ذلك «هنا وقد استعنت في إثبات وتصحيح بعض الأسماء القديمة ببعض المسنين وعلى رأسهم الحاج محمد صالح عزي»⁽²¹⁾.

«وقد وقعت شخصيا في هذا الخطأ وسميته في كتاب غدامس ملامح وصور ضريح عقبة بن عامر»⁽²²⁾. ويقول في مقدمة كتاب غدامس عبر العصور: «إن هذا الجهد المتواضع الذي بذلته لإبراز هذه المدينة ذات الجذور التاريخية من ما قبل التاريخ إلى الجرمنت والرومان إلى الفتح الإسلامي وما تلاه من الأنظمة... هذا الأمر في حاجة ماسة وملحة إلى مجموعة كبيرة من العلماء الباحثين»⁽²³⁾. ويقول في إحدى مقالاته: «كانت غدامس القديمة مدينة جامعة للمتناقضات، الغناء والرقص، التقوى والتهجد، الثراء الفاحش والفقرا المذق، البذخ والتقتير، الجود والبخل، الكد والكسل، العلم والجهل، الجمال والقبح»⁽²⁴⁾. ويقول في إحدى دراساته: «إننا بدل أن نلوم غيرنا لماذا لم يذكرنا ولم يكتبوا عنا، علينا أن نراجع أنفسنا ماذا أظهرنا للناس لنعرف به...»⁽²⁵⁾. ويقول أيضا: «أذهب إلى أية مكتبة عامة أو مركز ثقافي شئت في أي بلد عربي واسأل عن الدوريات التي تصدر في ذلك البلد وربما أيضا في خارجه فستجد السلاسل متكاملة، ليست مقطوعة ولا مبتورة وراجع تصنيف تلك المكتبة فستجده على أرقى مستوى، فهل مكتباتنا ومراكزنا الثقافية تقرب من هذا المستوى؟ إن المشكل الذي نعاني منه في الماضي والحاضر في اعتقادي هو الوعي المحدود لدينا في مجالي النشر والتصنيف...»⁽²⁶⁾. ويقول في سياق تصنيفه لمخطوطات إحدى المكتبات الخاصة: «فلقد من الله علي هذا العام بإنقاذ هذه المكتبة من الضياع، لقد أحضرها حفيده محمد بن عبد الله في أكياس على حالة يرثى لها من الضياع والإهمال، فانكبت عليها لعدة شهور حتى أعدت ترتيبها ووضع كل ورقة بجانب أختها، وقد بلغت عناوينها 68 عنوانا في مختلف العلوم وإن أكثرها بسبب الإهمال فقد أوترت»⁽²⁷⁾. ونلمس تواضعه كذلك في قوله في سياق دراسته لإحدى دفاتر الجباية يعود إلى بداية القرن التاسع عشر، هذا الدفتر هو ملك الأخ قاسم السنوسي الذي تكرم مشكورا بإحضاره إلى مكتب جهاد الليبيين فرع غدامس وأذن بتصويره ودراسته... وإني بهذه الورقة المتواضعة أرجو أن أضع بين أيدي الدارسين والباحثين صورة عن هذا الدفتر الذي سيكشف جوانب تاريخية كنا نجهلها، ولا أزعم لنفسي أي ساقدم دراسة ذات بال بل هي محاولة لتسجيل المعلومات التي يحتويها لإلفات النظر إليها فقط»⁽²⁸⁾. وفي ثنائه على بعض المواطنين ملاك المخطوطات بغدامس: «كما لا يفوتني أن أشكر جميع الإخوة الذين قدموا مادة هذا الكتاب إلى مركز جهاد الليبيين

بغدامس طواعية دون أن ينتظروا جزاء ولا شكوراً إلا من سبحانه وتعالى، وإذ أكبر فيهم هذه الروح العلمية الأصيلة والنظرة المتجردة الواعية، لأرجو من الإخوة الذين لم يتقدموا حتى الآن بما عندهم أن يحذوا حذوهم ويحذوا بما عندهم ترحماً وتخليداً لذكرآبائهم وأجدادهم الذين غادروا هذا العالم وأقصى أمنيتهم بلا شك أن يقيض الله من ينتفع بهذه الكنوز التي بذلوا فيها عرقهم وأموالهم حتى أوقفوها لوجه الله»⁽²⁹⁾.

وأختم هذه المقتطفات مما ذكره في كتاب غدامس ملامح وصور: «... قديماً قال الجاحظ رحمه الله (من أُلّف فقد استهدف) قال هذا لأن الأخبار لا تخلو من الأخطاء والروايات لا تخلو من التعدد، وإن بدا للقارئ الكريم شيء من هذا فأرجو منه المعذرة لأنه لا يسلم أي كاتب أو ناشر من الخطأ، وأكون شاكراً لكل من ذكرني بخطأ رآه، وأتحفني برواية مخالفة سمعها، إني لا أعتبر نفسي مؤرخاً أو منقبا بل جامعا لأخبار فقط»⁽³⁰⁾.

الهوامش:

- (1) الصحافة الأدبية في ليبيا د الطيب الشريف 16/1 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ط 1 2000 م .
- (2) ينظر : المصدر السابق ص 19 .
- (3) من الأسس الثقافية في ليبيا . د الطيب الشريف ،مجلة الفصول الأربعة ،عدديناير 2000 رابطة الأدباء والكتاب بليبيا طرابلس ،هامش ص 70 .
- (4) المصدر السابق هامش ص 71 .
- (5) الآية 84 الشعراء .
- (6) ينظر : غدامس من البيئات العلمية الثقافية في ليبيا ، أعمال المؤتمر الأول للوثائق والمخطوطات زليطن ، منشورات مركز جهاد الليبيين طرابلس 465/12 .
- (7) تاريخ الفتح العربي في ليبيا - دارالتراث العربي ط3 ص91 .
- (8) النشاط الثقافي في ليبيا ، أحمد مختار عمر الجامعة الليبية بنغازي 1971 ص 131 .
- (9) د حسن إبراهيم حسن ص 148 .
- (10) ينظر :العلم والعلماء بGDامس في عصر ابن غلبون ، بشير يوشع مجلة البحوث التاريخية السنة الرابعة العدد 1 1987 ص 85 .
- (11) ينظر : الشيخ محمد بن عمر ، نور الدين الثني مجلة الهلال Gدامس العدد 2 2002 ص 14 .
- (12) صحافة ليبيا في نصف قرن ، على مصطفى المصراقي ، الدار الجماهيرية 2002 ، ط 2 . ص 63 .
- (13) Gدامس من البيئات العلمية مصدر سابق ص 479 .
- (14) ترحال في الصحراء ترجمة د الهادي بولقمة جامعة قاريونس 1993 ص 19 .
- (15) بشير قاسم يوشع ط 1 . 1973 بيروت .
- (16) وثائق Gدامس ووثائق تجارية تاريخية اجتماعية . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية جمع وتحقيق بشير قاسم يوشع 1983 .
- (17) وثائق Gدامس ووثائق تجارية تاريخية اجتماعية مركز جهاد الليبيين 1995 الجزء لثاني .
- (18) فهرس مخطوطات Gدامس ص 9 .
- (19) فهرس مخطوطات جامع تدرين، المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط 1، 2011 .
- (20) بشير يوشع، مدينة Gدامس عبر العصور، المركز الوطني للمخطوطات طرابلس، ط 1، 2011 .
- (21) Gدامس من البيئات العلمية في ليبيا، أعمال المؤتمر الأول للمخطوطات، زليتن، ص 383 .
- (22) من أعلام Gدامس .
- (23) المرجع نفسه، ص 12 .

- (24) ذكريات رمضان في غدامس ، مجلة الإخاء، الهلال الأحمر الليبي، العدد 20، ص 36.
- (25) مكتبة الشيخ محمد الصالح بن هارون، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد 5، 1990، ص 425.
- (26) المرجع السابق، ص 426 .
- (27) المرجع نفسه، ص 429 .
- (28) دفتر الجباية عن السنوات 1804 - 1819م من أحد شوارع غدامس، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد 6، 1991، ص 317 .
- (29) فهرس مخطوطات غدامس، ص 10 .
- (30) ص 8 الطبعة الثانية .

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

القرآن الكريم برواية حفص

- (1) تاريخ الفتوح العربي في ليبيا، الشيخ الطاهر الزاوي، دار التراث العربي، ط3 .
- (2) ترحال في الصحراء جيمس تشاردن، ترجمة الهادي بولقمة، جامعة قاريونس، 1993 م
- (3) الصحافة الأدبية في ليبيا، د. الطيب الشريف، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية ط1 2000م، الجزء الأول .
- (4) صحافة ليبيا في نصف قرن، علي مصطفى المصري، الدار الجماهيرية، ط2 2002م .
- (5) غدامس من البيئات العلمية في ليبيا، أعمال المؤتمر الأول للوثائق و المخطوطات، زليطن، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية الجزء الأول .
- (6) فهرس مخطوطات غدامس، إعداد بشير يوشع، مركز دراسات جهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي، ط1، 1986م
- (7) فهرس مخطوطات غدامس مخطوطات جامع تدرين، المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، طرابلس ط1 2011م .
- (8) مدينة غدامس عبر العصور، بشير قاسم يوشع، المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1 2011م .
- (9) النشاط الثقافي في ليبيا، أحمد مختار عمر، الجامعة الليبية بنغازي 1971 .
- (10) وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية جمع وتحقيق بشير يوشع مركز جهادا الليبي للدراسات التاريخية طرابلس 1983 الجزء الأول .
- (11) وثائق غدامس وثائق تجارية تاريخية اجتماعية جمع وتحقيق بشير يوشع مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية طرابلس 1995 الجزء الثاني .

المجلات والدوريات :

12. دفتر الجباية عن السنوات 1804 - 1819م من أحد شوارع غدامس، بشير يوشع مجلة الوثائق والمخطوطات العدد 6 1991 م .
13. ذكريات رمضان في غدامس مجلة الإخاء، الهلال الأحمر الليبي، العدد 20 1991 م
14. الشيخ محمد بن عمر الغدامسي، نور الدين الثني، مجلة الهلال، الهلال الأحمر غدامس، العدد 2، 2002 م .
15. العلم والعلماء في غدامس في عصر ابن غلبون، بشير يوشع، مجلة البحوث التاريخية، السنة الرابعة، العدد 1 1987 م .
16. مكتبة الشيخ محمد الصالح بن هارون، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد 5 1990 م.
17. من الأسس الثقافية في ليبيا، د. الطيب الشريف، مجلة الفصول الأربعة رابطة الأدباء والكتاب بليبيا، طرابلس العدد 90، 2000 م .

المدرسة الايطالية بغدامس



بشير يوشع بالزي التقليدي لغدامس

